

في اختلاط الجنسين

للأستاذ محمود محمود بسيوني

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

ولما كان ما نراه اليوم من فساد ناتجاً عن سوء فهم الناس لمنى الاختلاط فلندرس إذن الاختلاط ولنفهمه بفهمه الحقيقي .
الإنسان مدنى بطبعه ، أى أنه لا يمكن أن يعيش منعزلاً ؛ فلا بد من التعاون الحقيقى بين أفراد الإنسان بوجه عام . فإن اختلاف القوى البدنية والعقلية يحتم احتياج كل إنسان إلى الآخر لإكمال ما به من نقص ، ولكي يتعاون الجميع على الحياة في أمن وهدوء . والحياة كثيرة للشعب متعددة الفروع بحيث أن كل فرد لا بد أن يقوم بعمله كاملاً من ناحية اختصاصه . ومن هذا نرى أن الرجل لازم للمرأة ، وأن المرأة لازمة للرجل ، أى أن الانصاف بين الرجل والمرأة لازم لا لحفظ النوع فقط ؛ وإنما كذلك للتعاون على شؤون الحياة ، أو بمعنى آخر نستطيع أن نقوله أن الاختلاط أمر لا بد منه ، ولكن متى يكون هذا الاختلاط وما حدوده ؟

الاختلاط ممكن في الحدود الطبيعية أى حيث تتطلبه شؤون الحياة . وهو لا يكون حينئذ خطراً لانصراف الفكر إلى المهام الجدية التى تتطلبها الاختلاط ، ولانعدام الجو الذى يولد للتفكير السيئ . فالرجل الذى يذهب ليشترى شيئاً تحسن المرأة سمعته أو تجارتها ، لا يتوقف لديه ما يبيت على التفكير السيئ ؛ والمرض فى المستشفى يحتاج إلى رقة المرأة وحنانها ، فلا ضرر من اتصال الرجل بالمرأة فى مثل هذه الحالة ، حيث لا مجال هناك للتفكير السيئ . والرجل الذى يتلقى فتناً خاصاً تحذقه امرأة لا بأس عليه من اختلاطه بها كذلك . وكل هذا هو ما تقصد به الاختلاط الطبيعى الذى تتطلبه شؤون الحياة وتوزيع العمل بين الرجل والمرأة كما فهمته تلك المرأة القروية على حقيقته . فعلى تخالط الرجل فى الحقل إذا دعت إلى ذلك الشؤون الزراعية ، كما تخالطه فى السوق إذا دعت إلى ذلك حاجة البيع والشراء . ولكن هؤلاء الذين تختلط بهم فى الحقل وفى السوق تحتجب عنهم فى المنزل لأنها

فى هذه الحالة لا تجد مبرراً طبيعياً لاختلاطها بالرجال ، وعلى ذلك نستطيع أن نقرر فى غير تخرج أن تلك القروية قد أدركت بفطرتها السليمة وظرفيتها الحقيقية أكثر مما فهمتها تلك الفتاة الحضرية التى تدعى العلم والفلسفة

على أن هناك مجالات أخرى قد يبدو فيها الاختلاط أمراً ضرورياً كالحفلات الخاصة وما شابهها . وخير الأمور فى مثل هذه الأحوال هو أن يقتصر الاختلاط على الأهل والأقارب والأصحاب ومن إليهم ممن توجد بينهم صلة قوية وثقة تامة ؛ حينئذ أظن أن خطر الاختلاط يبتعد كثيراً ويكاد ينعقد ، وبخاصة إذا روعى الواجب حيال هذا الاختلاط من احتشام المرأة وصراعاتها له فى حدود الوقار والحياء . وإنى لأفهم مطلقاً أى معنى لأن يدعو إنسان فى بيته رجالاً ونساء لا يعرف بعضهم بعضاً ويكرم لنفسه بأنه يقدم التمازج بينهم . فهذا النوع من الاختلاط هو الذى لا تقره مطلقاً . فنه تقع الحوادث والكوارث . فإن المرأة بطبيعتها ضعيفة سريعة الانقياد ؛ ثم إنه من الممكن أن يندس بين الرجال من ليس منهم من الجهة العقلية الجديرة بالرجولة . فكثيراً ما تلقى وحوشاً إنسانية فى زى الرجال . وفى وجود هؤلاء خطر شديد . فقد تلتقى المرأة بـرجل تنوسم فيه بحاسن خاصة وفضائل ظاهرية قد تميزه على زوجها إن كانت متزوجة ، أو توهمها بأن فيه المثل الذى تشده إن لم تكن متزوجة ، فإذا بها تنقاد له وتقع فى شركه وتبادى فى علاقتها به ؛ ثم تنكشف الحقيقة فجأة وتقع للكارثة كما هو معروف .

لقد قلنا إن الاختلاط ممكن فى الحدود التى تستلزمها الطبيعة ولا تتناقض فى شيء مع الدين والأخلاق ، وهى حدود لا تموق الحرية ولا تؤثر على التقدم والرقى ؛ وإنما هى حدود تكفى لأن يعيش الإنسان هادئاً مطمئناً سالكاً للطريق الذى خلق له . أما الاختلاط على الصورة الحاضرة فهو خطأ كل الخطأ ، وإنما هو تقليد أعمى لا يجوز الأخذ به بقائناً . وقد قال الفيلسوف Montesquieu : إن لكل بلاد جوها وعاداتها وتقاليدها وموقعها الجغرافى مما يخلق لها ظروفًا خاصة قد لا تتناسب مع ظروف البلد الآخر . وهذه النظرية الصحيحة إذا طبقت فى موضوعنا هذا نستطيع أن نحصل بواسطة إلى

أن يكون علما في الشؤون التي خلقت لها وهي فنون البيت وشؤون الأسرة، وأن تكتفي فيها عدا ذلك بما تشير به تعاليم الدين وتقاليد البلاد. فليجنب الجميع منابع الشر، وليتعدوا عن مسبباته داءا للخطر، وبخاصة أنه ليس هناك ما يستوجب الاقتراب منه وإنما نحمل المرأة أكثر التبعة نظراً لأنها تعلم حق العلم أن مسماها غير مسمى الرجل فهي سريعة التأثر كالأثرمة اليابسة إذا لمسها الأيدي للكثيرة ذبكت وتناثرت أوراقها وديست بالأتغام، بينما حال الرجل ومسماه قليل التأثر. فلو أن المرأة لم تقدم نفسها إلى الرجل ولم تسهل له سبيل الانصال بها ولم تستمع إلى إغرائه وغوايته لما جراً هو على الاستغفاف بها واستغلال غالطتها بالسوء. على أن ذلك لا يرى الرجل من التبعة واللوم، فإن صفات الرجولة توجب عليه أن يكون قويا شهما مترفعا عن أساليب الخداع والنقض التي يتبعها لإيقاع المرأة في الشرك وهي الضعيفة أمام سلطانه. فكان الواجب أن يراد المرأة إلى سبيل الجد والهداية. فلو أنه استغل رجولته وشهامته في عدم الاندفاع في الاختلاط وفي عدم تشجيعه له، لاندمت الأسباب التي نتج عنها الاختلاط السيء ولما شكرونا مما نشكو منه الآن وكل ما نريده اليوم هو أن نستجيب إلى النداء العظيم الذي وجهه صاحب العزة الدكتور منصور فهمي بك حيث حثنا على أن نتعاون جميعا على تنظيم حياتنا الاجتماعية نظما جديدا يتناسب مع تقدمنا ومدنيتنا الحقيقية لا الزهومة. وأن نطهر تلك الحياة مما فيها من آثام وشرور قبل أن يستفعل أمرها ويستمرى استئصالها، فواجب كل فرد أن يضع في رأسه أنه مكلف أخلاقيا بأن يساهم في مكافحته للفساد والشر وفي هداية الناس إلى الطريق المستقيم وفي إظهارهم على ما في ذمتهم وما في تقاليدهم من ممان سامية ومن تعاليم رفيعة تضمن لهم أمنهم وسعادتهم. فليقم كل منا بأكبر قسط يمكنه أداءه في دائرته: في منزله أولا وفي البيئة المحيطة به ثانيا. كذلك نستجيب إلى نداء الأستاذ الدكتور فندحو إلى تأليف جماعات تعمل متضامنة على مكافحة الأمراض الاجتماعية الناتجة عن الاختلاط. ونحن نعلم أن تتسع هذه الخطوة بأن تساهم الصحافة بنسب أوفر، بأن تكتم

أن الاختلاط وإن أمكن توسيع نطاقه في أوروبا (على أن أوروبا هي الأخرى قد نالها منه ما نالها من شر وضر) قد يكون مقبولا إلى حد ما، لأن جو البلاد وطبيعة أهلها للباردة؛ ثم عاداتها وتقاليدها قد تجيز الاختلاط دون ضرر كبير. أما في الشرق حيث الجو حار وطبيعة السكان حارة أيضا، سريعة التأثر والتورن، وحيث تقاليد الناس للتوارث لا تجيز هذا الاختلاط؛ فإنه من الخطر حقا أن تنقل اختلاط أوروبا إلى مصر، فسيبقى الغرب ضربا وسيبقى الشرق شرقا إلى نهاية الحياة.

أما ما يقول به البعض من أن المرأة إذا كانت شريفة بطبيعتها واثقة بنفسها، موثوقا بها، فهي تستطيع أن تبقى طاهرة مطهرة، حصينة محصنة، تحت أي ظرف أو ضد أي ظرف من ظروف الإغراء والحسوط، فهذا شيء من الصعب التسليم به، فمن الخطأ أن توفر لإنسان أسباب الشر وتغريه بها وتجيبه إليها مع علمك بأنه ضعيف أمام سطوة الشيطان، ثم زعم أنه يستطيع التغلب عليها؛ وقد قالت حكمة القدماء أن الوفاة خير من العلاج.

وقد قال البعض أيضا أن العلم والثقافة ببيان المرأة شر السقوط. ولكننا لا نستطيع أيضا أن نعلم بهذا؛ فإننا قد رأينا التملعين والتملمات هم الذين يبدؤون بفكرة الاختلاط ويسرفون في الحرية التي يهبها لهم علمهم وثقافتهم فيفرون بذلك طائفة أخرى أكثر منهم عددا وأقوى منهم أثرا، ولكننا أقل علما وفهما. هؤلاء هم أنصاف التملعين والتملمات الذين لا يقدرון الأمور كما يجب أن تقدر، ولا يفهمون الحرية كما يجب أن تفهم، فيمتدون أن الأمر عبث وهو لا أكثر ولا أقل، فيندفعون وراء عقولهم الضعيفة وقلوبهم المستسلمة ويصبحون الخطر الأعظم. أما التملعون الذين يفهمهم علمهم وقيمهم شر السوء فهم الذين بلغوا من العلم شأوا بعيدا. أما الذين لم يصيبوا منه مثل هذا القدر فإنه يتسرب إلى اعتقادهم أن العلم يعطيهم شيئا من الحرية وشيئا من التفكير في الأمور من نواحيها السهلة الضعيفة فيتناسون ما فيها من قيود شديدة، وبهذا يصبحون مستهترين إلى حد ما. نخير إذن أن نترك الأفكار السالحة تسيطر على العقول والنفوس على شكل تقاليد وعادات تنوارثها الأجيال، فلا نجرؤ على مهاجمتها. وخير المرأة إذن ألا تسرف في الاستنتاجات من الفلسفة والعلم، وإنما يجب